كتاب
دستور الأخلاق فى القرآن
تأليف
دكتور محمد عبدالله دراز

دستور الأخلاق فى القرآن

ألف الكتاب الدكتور محمد عبدالله دراز وهو دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن. إنها رسالة جامعية استغرقت كتابتها ست سنوات ونوقشت فى السوربون سنة ١٩٤٧ وقد ترجم النص الفرنسى إلى العربية الدكتور عبدالصبور شاهين.

والكتاب فى الحقيقة موسوعة تقع فى ٧٨٠ صفحة من القطع الكبير

الفصل الأول منه فى الإلزام... والثانى فى المسئولية... والثالث فى الجزاء... والرابع فى النية والدوافع... والخامس فى الجهد ثم خاتمة عامة لتبدأ فصول (الأخلاق العملية)

الفصل الأول فى «الأخلاق الفردية»، والثانى فى «الأخلاق الأسرية» والثالث فى «الأخلاق الاجتماعية» والرابع فى «أخلاق الدولة»، والخامس فى «الأخلاق الدينية»

ثم إجمال أمهات الفضائل الإسلامية.

إن مشكلتنا ليست المال أو حتى العلم ومن ورائه التكنولوجيا. إن مشكلتنا **الأخلاق** فهى كما طرحها مفهوم القرآن، مفتاح إلى العلم واليقظة وقيم الأمانة والتكافل والرحمة والصبر عند اللقاء وفى النزال والشجاعة... شجاعة النفس والقلب والضمير... وهذه لو توفرت أمضى الأسلحة فى حربنا مع عدونا. إن ما عنده من السلاح المادى يفوق ما عندنا ولكن سلاح الخلق أمضى.

والتشريع الإسلامى يشترط الأخلاق فى تعيين القاضى ورئيس الدولة فقد حرص الإسلام على (الشخصية) فى الإنسان.

إن سوء الخلق ليس هو السبب الوحيد الذى ترد به شهادة الرجل فى المنازعات، بل إن مسلكا طائشا، أو زيا يخرج عن الاحتشام، أو الانهماك فى الملذات حتى ما كان منها مباحا... كل ذلك من شأنه أن يرد شهادة الرجل، ويجعله غير أهل لوظيفة القاضى، وبالأحرى غير أهل لوظيفة رئيس الدولة.

إن الإسلام يحرم الخمر... والمسألة أو الحكمة فى التحريم ليست سلطة أمر وإنما حماية للمجتمع وصيانة للفرد فإن شارب الخمر كما يقول الإمام على إذا شرب، سكر.. وإذا سكر، هذى... وإذا هذى، افترى... وهنا يتعرض للعقاب والتجريح، وفقد الاحترام أى فقد القيمة بعد أن فرق كما يقول الشيخ عبدالله دراز (أستاره الواقية). ص ٢٦٨

وعقوبة السرقة ليست قسوة فكلما كانت العقوبة أشد تنكيلا قل غالبا تطبيقها. فعظم الجزاء يجعل مخالفته أدنى إغراء وأقل إغواء، فلا يجد النظام امامه عقبات كبيرة يتعين عليه اجتيازها.

كما أحاط القرآن الكريم تشريع هتك العرض بعدة احتياطات تجعل اثبات الجريمة أمرا فى غاية العسر، إن لم يكن مستحيلا من الناحية العملية. كذلك لسنا نجد فى السنة مثالا واحدا قامت فيه الإدانة بالزنا على الشهادة بل إن الحكم صدر على أساس من الإقرار التلقائى للمذنب نفسه... وحتى هذا الإقرار التلقائى لا يكفى فى ذاته لكى يفرض إدانة، بل يجب التأكد من أن **المعترف يدرك تماما ما يقول**... وأن يصر على هذا الإقرار حتى النهاية.... وألا يكذبه مطلقا بإنكار لاحق **صريح** أو **ضمنى**.

ومن إشراقات القرآن الكريم وسماوياته أنه حين عدد الله، النعم فى الجنة التى يهبها المتقين، نوه بنعمة «**النقاء**» فى قوله تعالى:

(ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار) الأعراف ٤٣ فالصدر النقى قدمه على نعمة الأنهار تجرى أمام عيون أهل الجنة. والأنهار الجارية أمام العين (أنزه ما يلذ النظر وأطهره) كما يقول الشيخ دراز وعندما وصف الله الجنة بأكرم وأجمل وأطيب الصفات قال فى النهاية: (ورضوان من الله أكبر) ص ٣٨٥

ويقول قائل لماذا يحرم الشراب فى الدنيا ويتاح أو يباح فى الجنة والجواب أن شرب الجنة سوف يكون (شرابا طهورا)

ولن تغشى لذة الكأس على العقل لأنها: (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ولن يصيبهم منها صداع ولا وصب: (لا يصدعون عنها) ولن يصحبها كذب ولا ثرثرة): (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) ولن تؤدى بهم الى إثم لأنها: (لا لغو فيها ولا تأثيم).

ومن الأمر ما وكله إلى الإنسان (وأما من خاف مقام ربه، **ونهى النفس عن الهوى**). حتى الدين (لا إكراه فى الدين).

ومن الدماثة والخلوص قول القرآن الكريم (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست[1] مؤمنا) فى عملية بث الأمل فى النفوس وفى توجيه الآخرين إلى احترام الناس وعدم استباحة تفكيرهم.

وقريب من هذا اضطرار الضرورة... فحتى النهى لم يغلق الله الرحيم الباب غلقا محكما ينتهى بالإنسان إلى طريق مسدود.. بل وضع فى الاعتبار، الاضطرار، من رحمة... فبعد أن فصل لنا ما حرم علينا استثنى حالات الاضطرار (فمن اضطر غير باغ[2] ولا عاد فلا إثم عليه) ومن هنا القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات)، ومن الإسلام، الإنفاق فى **نبل**... اختيار الأحسن الذى تشتهيه النفس (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)[3]

ومن نبل الإسلام: **العطاء فى خفية** لا رئاء الناس ولا رياء المجتمع ولا اشتهاء التفاخر ولا ابتغاء الشهرة... عطاء لا يتبعه من أو أذى (إن تبدوا الصدقات فنعما هى، وإن تخفوها، وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ويكفر عنكم من سيئاتكم).[4]

وقوله تعالى: (الذين ينفقو أموالهم فى سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى، لهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم)[5]

---

(١) النساء ٩٤
(٢) البقرة ١٧٣
(٣) آل عمران ٩٢
(٤) البقرة ٢٧١
(٥) البقرة ٢٦٢، ٢٦٣

ومن دماثة الإسلام **اختيار الموضوع واختيار الأسلوب** (وتناجوا بالبر والتقوى) وقوله تعالى: (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) الإسراء ٥٣

والقرآن الكريم يبدأ بالواقعية وينتهى بالمثالية فهو حين شرع القصاص، رغب فى العفو (وجزاء سيئة، سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) .[١]

نوه القرآن الكريم بالأخوة الإنسانية: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .[٢]

ومن أروع فصول الكتاب فصل (أخلاق الدولة)

فمن واجبات الرؤساء: **الشورى** (وشاورهم فى الأمر)

والعدل (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ٥٨

وصون الأموال العامة وعدم المساس بها: (وما كان لنبى أن يغل، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) آل عمران ١٦١

ومن واجبات الشعوب: **النظام** والطاعة **المشروطة** بطاعة الحاكم **وتجنب موالاة العدو أو التعامل معه**

موسوعة كبيرة وعميقة تفهم الدين من رؤية حضارية... ذكرت منها لمحات فحسب... ولكنها لو غدت لنا، أسلوبا لتغير وجه المجتمع وقلت المعاناة وساد الوئام.

هذا هو الإسلام فى أفقه الأعلى

---

(١) الشورى ٤٠
(٢) الحجرات ١٣

openkandil.com